

كتب بالإنكليزية

فلسطين/إسرائيل:

سلام أم فصل عنصري؟

فرص حل النزاع*

Palestine/Israel: Peace or Apartheid? Prospects for Resolving the Conflict

Marwan Bishara

London: Zed Books, 2002. 142 pages. \$17.50 paper.

مروان بشارة باحث وصحافي شاب من الناصرة مقيم بباريس، حيث يعلم في الجامعة الأميركية ولديه زمالة أبحاث في المعهد العالي لدراسات العلوم الاجتماعية. يوضح كتابه أن "عملية سلام" أو سلولم تكن عملية سلام حقيقية، وإنما محاولة "لنزع فتيل القضية الفلسطينية من دون حلها" (ص 129)، وأداة كي تضمن السيطرة الاقتصادية الإسرائيلية على الفلسطينيين وتحقق عن طريق السلام ما لم تستطع تحقيقه عن طريق الحرب - أي الهيمنة الإقليمية (ص 109). يكشف مروان بشارة عن العواقب الاقتصادية المرعبة لاتفاق أوسلو على الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهي تشويه البنية الاجتماعية بإنشاء طبقات طفيلية تحظى بامتيازات في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية من "عملية السلام". وهذه النتائج، إلى جانب التصميم الإسرائيلي على عدم التخلي عن المستعمرات، وعدم التنازل عن أي شكل من أشكال السيادة على الأراضي المحتلة، وعدم تفكيك نظام الفصل العنصري، أدت إلى اندلاع الانتفاضة الثانية. ولم تكن الانتفاضة موجهة ضد نظام الاحتلال فحسب، بل أيضاً ضد السلطة الفلسطينية، التي عملت على فرض الأمن لمصلحة إسرائيل، الأمر الذي دفع المؤلف إلى أن يخلص إلى أن العودة إلى "عملية السلام" المثقلة بالالتزامات الأمنية محتومة الفشل.

إن مناقشة مروان بشارة للانتفاضة، واستخدام إسرائيل المفرط للقوة، لا ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة فحسب، بل ضد مواطنيها العرب أيضاً، تجعل هذا الكتاب واحداً من الكتب القليلة غير المحصورة بالأراضي المحتلة سنة 1967. بل إن الكاتب يخصص فصلاً كاملاً بعنوان "العدو الداخلي لإسرائيل: المليون فلسطيني المنسيون" (ص 28 - 40). وهو يعالج القضية الفلسطينية، التي تتكون الآن من ثلاثة

(* المصدر: *Journal of Palestine Studies*, vol. xxxii, no. 2 (Winter 2003), pp. 113-114.

عناصر منفصلة (اللاجئين، والمواطنين، والخاضعين للاحتلال)، كوحدة واحدة. ويرى أن مصير الفلسطينيين في الأراضي المحتلة ومصير المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل متشابكان الآن أكثر من أي وقت مضى: "لقد فشلت إسرائيل في تجزئة القضية الفلسطينية وتقسيمها، فعادت إلى الظهور ثانية في تشرين الأول/أكتوبر (2000) كقضية شعب بأكمله، وكتحدٍّ وجودي يواجه إسرائيل" (ص 38). وقد أصاب مروان بشارة، في معالجته الطريق المسدود في العملية الدبلوماسية والدور الأميركي فيها، بتحميله الرئيس الأميركي السابق، بيل كلينتون، المسؤولية الكبرى عن الفشل. فقد وقف الرئيس الأميركي إلى جانب إسرائيل، وعمل طوال سبعة أعوام على "التلاعب بالفلسطينيين والضغط عليهم لقبول الإملاءات الإسرائيلية" (ص 6). وهكذا ابتزت واشنطن وتل أبيب الفلسطينيين بطريقة لامبالية عن طريق استغلال اللاعبين العرب الآخرين، ولا سيما سورية، في أثناء حكم رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق، إيهود براك، الأمر الذي أضرب بالسلام.

خصص المؤلف فصلين للقدس واللاجئين، وكلاهما من مسائل "المرحلة النهائية"، وحل دورهما في محادثات قمة كامب ديفيد الثانية. وقد أثرت معرفته الدقيقة بالسياسات الداخلية الإسرائيلية عرضه الطريق الدبلوماسي المسدود وخداع كامب ديفيد. فعلى سبيل المثال، ذكر أن الجيش الإسرائيلي، الذي أصبح متطرفاً في العقدين الماضيين، "أدى دوراً في نفس العملية" (ص 52). إن الفصلين السابع والتاسع على وجه التحديد واضحان ويتسمان ببصيرة ثاقبة. يحدد أولهما، وهو بعنوان "سبع سنين سمان للإسرائيليين وسبع سنين عجاف للفلسطينيين"، الالتزامات الاقتصادية لاتفاق أوسلو من النواحي العامة وعلى المستوى الجزئي، ويقدم بيانات اقتصادية مهمة. فقد سهل اتفاق أوسلو دخول إسرائيل الأسواق العالمية الناشئة، وجلب إليها استثمارات اقتصادية مربحة. كما أنه "كان على إسرائيل أن تعيد هيكلة الروابط الاقتصادية الاستعمارية" (ص 99) بالأراضي المحتلة من أجل العولمة. ويوضح هذا الفصل كيف أن اتفاق أوسلو كان "وثيقة اقتصادية" بالدرجة الأولى. لكن في حين أن المكاسب ذهبت إلى إسرائيل، بدأ الاقتصاد الفلسطيني يتدهور أكثر فأكثر، إذ عانى الفلسطينيون جراء ازدياد البطالة وتدني إمكان الحصول على التعليم والرعاية الصحية الكافيين.

لقد أدت الإجراءات الصارمة التي فرضت على الفلسطينيين، على الرغم من "السلام"، إلى تحطيم الحياة اليومية للشعب. وذهبت ميزانية السلطة الفلسطينية في معظمها إلى "الأمن" والرواتب، ولم ينفق على الصحة والخدمات الاجتماعية والتعليم، سوى مبالغ زهيدة. وقد أوضح مروان بشارة عدم اكتراث واشنطن التام لمحنة الناس، بينما تصحو اليوم فجأة على ضرورة الإصلاح والشفافية، كما سمّاهما الرئيس جورج

دبليو بوش. وبين كيف أن اتفاق أوسلو قسم الضفة الغربية وقطاع غزة إلى كانتونات وجزر للفقر بعد أن كانتا وحدة واحدة قبل أوسلو. ومع ذلك يلاحظ الكاتب أن "يهود إسرائيل شعروا بأنهم في غيتو بفعل فرضهم الكانتونات على الفلسطينيين" (ص 130).

في النهاية، يخلص مروان بشارة إلى أن الفصل العنصري والسلام غير ممكنين معاً، وأن الطريق للخروج من حالة الاضطراب هذه هي أن يعيش الشعبان معاً في مساواة، وبخلاف ذلك، "ليكن طلاقهما منصفاً" (ص 138). إن التحليل الثاقب لفترة أوسلو واضح وجيد الكتابة، ويتسم بنفاذ البصيرة. وسيقدّر القارئ حتماً نقد الكاتب لاتفاق أوسلو، وتسليطه الكثير من الضوء على واحدة من أكثر المشكلات تعقيداً في زماننا.

نصير عاروري

أستاذ استشاري (متقاعد)

في جامعة ماساتشوستس، دارتماوث

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>